

رحلات أنور

- ١١ -

مع الاسد في كينيا



سَأَلَ أَنْوَرُ: « أَيْنَ نَحْنُ ؟ »

فَأَجَابَ الْأَسَدُ: « نَحْنُ فِي كِينَا، وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي

شَرْقِ إفريقيا. »

أَنْوَرُ: « وَهَلْ هَذَا وَطَنُكَ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ مَلِكٌ

الحيوانات ؟ »

الْأَسَدُ: « أَنَا مَلِكُ الْحَيَوَانِ دَائِمًا حَيْثُمَا أَكُونُ. »

قَالَ ذَلِكَ، وَرَفَعَ رَأْسَهُ الْجَبِيلَ إِلَى أَعْلَى، وَهَزَّ مِعْرَفَتَهُ،

وَبَدَأَ كَأَنَّهُ مَلِكٌ حَقِيقَةٌ. وَلَقَدْ كَانَ سُرُورُ الْأَسَدِ

عَظِيمًا بِرَجُوعِهِ إِلَى وَطَنِهِ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ يُهَيِّئُهُمْ كَمَا يُهَيِّئُهُمُ

الْقِطُّ، وَلَكِنْ بِصَوْتِ أَعْلَى كَثِيرًا.

وَوَجَدَ أَنْوَرُ نَفْسَهُ فِي فِضَاءٍ مُغَطًى بِالْحَشَائِشِ الْعَالِيَةِ.

وَكَانَتْ فِيهِ أَشْجَارٌ قَلِيلَةٌ صَغِيرَةٌ هُنَا وَهَنَّاكَ، لَا يَزِيدُ

ارْتِفَاعُهَا عَلَى قَامَةِ الرَّجُلِ، وَيَحْتَوِي فِيهَا كَثِيرٌ مِنْ أَنْوَاعِ

الْحَيَوَانِ الَّتِي تَعِيشُ عَلَى الْحَشِيشِ كَالْفَرَازِ وَالْحَمَارِ

الْوَحْشِيِّ. وَلَمْ يَكُنْ رَأْسُ أَنْوَرٍ ظَاهِرًا مِنْ فَوْقِ الْحَشِيشِ

لَيَرَى تِلْكَ الْحَيَوَانَاتِ. وَلَكِنْ زُرَافَةٌ أَطْلَتْ عَلَيْهِ مِنْ

عَلَى، ثُمَّ أَطْلَقَتْ سَافِيَهَا لِلرَّيْحِ. وَصَارَتْ تَذْتَقِلُ مِنْ شَجَرَةٍ

لِأُخْرَى لِتَأْكُلَ كُلَّ أَوْرَاقِهَا.

وَقَالَ الْأَسَدُ لِأَنْوَرٍ: « وَالْآنَ، وَدَاعَا يَا صَدِيقِي !

وَتَعَلَّمْ أَنَّكَ هُنَا فِي مَكَانٍ تَعِيشُ فِيهِ قِبَائِلُ تُسَمَّى قِبَائِلَ

« الْمَسَايِ ». وَلَسْتُ أَعْلَمُ مَاسِيكَوْنُ غِذَاؤُكَ يَنْهَمُ. فَإِنَّ

هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَزْرَعُونَ شَيْئًا وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ خَبْزٌ أَوْ

فَاكَةٌ أَوْ خَضَرٌ. فَهُمْ يَشْرَبُونَ اللَّبَنَ وَالْدَمَ، وَيَأْكُلُونَ

اللَحْمَ الَّذِي يَحْضُلُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَوَاشِيهِمْ الَّتِي لَاحْضَرُ

لَهَا. وَكَنتُ أَظُنُّ أَنَّهُمْ لَا يَحْقِدُونَ عَلَيَّ إِذَا أَخَذْتُ

وَاحِدَةً أَوْ اثْنَتَيْنِ مِنْهَا لِأَتَغَذَّى بِهَا، كَمَا شَمَرْتُ بِالْجُوعِ.

وَلَكِنْ الْغَرِيبُ أَنَّهُمْ يَمْضَبُونَ لَذَلِكَ أَشَدَّ الْعُصَبِ،

وَيَدْفَعُهُمْ هَذَا إِلَى مُحَاوَلَةِ صَيْدِي بِالْحِرَابِ. »

فَقَالَ أَنْوَرُ: « إِنَّهُ لَيَسُوءُنِي جِدًّا أَنْ يَمْسَكَ أَيْ

سَوْءٍ. وَلِلذَلِكَ أَسْتَوْدِعُكَ اللَّهُ ! »

وَوَقَفَ الْأَسَدُ عَلَى رِجْلَيْهِ الْخَلْفَتَيْنِ، وَمَسَحَ دَمْعَةً

نَزَلَتْ مِنْ عَيْنِهِ الْبُشْرَى بِكَفِّهِ الْأَيْسَرِ. وَمَسَدَّ كَفَّهُ

الْأَيْمَنَ، لِيُسَلِّمَ عَلَى أَنْوَرَ، وَكَانَتْ كَفَّهُ نُشْبَةً كَفَّ
الْقِطُّ. وَأَدْخَلَ تَحَالِبُهُ فِي أَغْمَادِهَا، حَتَّى لَا يَخْدِشَ يَدَ
صَدِيقِهِ الَّذِي أَرْجَمَهُ إِلَى وَطَنِهِ. ثُمَّ قَفَزَ إِلَى الْحَشَائِشِ،
وَاجْتَنَى بَيْنَ الْأَشْجَارِ وَالْأَعْشَابِ الَّتِي كَانَ لَوْنُهَا يُشَابِهُ
لَوْنَهُ كَثِيرًا.

أَمَّا أَنْوَرُ، فَإِنَّهُ وَاصَلَ سَيْرَهُ بَيْنَ الْحَشَائِشِ إِلَى أَنْ
وَصَلَ إِلَى قَرْيَةٍ. وَكَانَ حَوْلَ الْقَرْيَةِ سُورٌ عَالٍ مِنْ
الْأَشْجَارِ ذَاتِ الشُّوْكِ، لِيَتَمَنَعَ الْوَحُوشَ مِنَ الْوُصُولِ
إِلَيْهَا لَيْلًا. وَاتَّقَمَّ السُّورُ إِلَى الدَّخْلِ، فَغَاصَتْ قَدَمَاهُ
فِي وَحْلِ قَدِيرٍ، كَانَتْ تَنْبَعُ مِنْهُ رَاحَةٌ كَرِيهَةٌ جَدًّا،
جَمَلَتُهُ شَدِيدَةُ الْإِسْتِزَارِ. وَلَمْ يَكُنِ الْفَضَاءُ الْوَاقِعُ
دَاخِلَ السُّورِ سِوَى حَظِيرَةِ الْمَوَاشِيِّ.



كوخ من الكوخ كينيا

وَفِي وَسْطِ ذَلِكَ الْمَكَانِ الشَّدِيدِ الْقَدَارَةِ، كَانَتْ
حَاقَّةٌ مِنَ الْأَكْوَاجِ، لَا تَزِيدُ فِي ارْتِفَاعِهَا كَثِيرًا عَلَى
مِثْرِ. وَهِيَ مَصْنُوعَةٌ مِنْ عِصَى فَوْقَهَا طَبَقَةٌ مِنَ الطِّينِ.
وَتَقَدَّمَ أَنْوَرُ لِيَدْخُلَ أَحَدَ الْأَكْوَاجِ، فَوَجَدَ الْبَابَ
مُنْخَفِضًا جَدًّا، حَتَّى اضْطُرَّ لِأَنْ يَرْحَفَ كَيْ يَتِمَكَّنَ

مِنَ الدُّخُولِ. وَكَانَ دَاخِلَ الْكُوخِ مُظْلِمًا لَعْدِيمَ وَجُودٍ
نَوَافِذَ فِي جُدْرَانِهِ، وَإِنَّمَا كَانَ يَدْخُلُهُ ضَوْؤُهُ ضَعِيفٌ،
مِنْ خِلَالِ الْبَابِ وَمِنْ ثُقُوبٍ قَلِيلَةٍ فِي السَّقْفِ وَالْجُدْرَانِ.
وَعَلَى ذَلِكَ الضَّوْءِ الضَّعِيفِ رَأَى أَنْوَرُ فَرَّاشًا مِنَ الْحَشِيشِ
وَبِضْعَ أَوَانٍ مِنَ الْحَدِيدِ وَقُدُورٍ مِنَ الْفَخَّارِ. وَفِي وَسْطِ
الْكُوخِ مَوْقِدٌ مَكُونٌ مِنْ كَوْمَةٍ مِنَ الْأَحْجَارِ. وَكَانَ
الْكُوخُ مُملُوءًا بِالذَّبَابِ وَالرَّوَابِجِ الْكَرِيهَةِ. وَلَمْ يُطِقْ
أَنْوَرُ عَلَى ذَلِكَ صَبْرًا، فَخَرَجَ مُسْرِعًا.

وَلَمَّا جَاوَزَ بَابَ السُّورِ وَجَدَ فِي الْجَانِبِ الْآخِرِ
بَعْضَ الْأَوْلَادِ مِنْ قَبِيلَةِ «الْمَسَايِ» يَلْعَبُونَ، فَاشْتَرَكَ
مَعَهُمْ كَمَا دَرَبِهِ. وَبَدَّوْا اللَّعِبَ بِحِرَابٍ صَغِيرَةٍ مُتَظَاهِرِينَ
بِأَنَّهُمْ يَصْطَادُونَ السَّبَاعَ. ثُمَّ صَنَعُوا قَرْيَةً مِنَ الرَّمَالِ،
وَوَضَعُوا بِدَاخِلِهَا حَصَى لِيَقُومَ مَقَامَ الْمَوَاشِيِّ.

وَأَخِيرًا وَجَدُوا بَقْرَةً مَجْزُوزًا وَدِيمَةً، فَقَالُوا: «لِتَكُنْ
هَذِهِ الْبَقْرَةُ كُوخًا». وَوَقَفَ أَحَدُ الْأَطْفَالِ بِجَانِبِهَا،
يَتَنَمَّاءُ اخْتَبَأَ الْآخَرُونَ فِي الْأَعْشَابِ. وَبَعْدَ قَلِيلٍ خَرَجُوا
مِنَ الْأَعْشَابِ زَاحِفِينَ كَأَنَّهُمْ أَغْدَاؤُ يُرِيدُونَ الْإِسْتِيلَاءَ
عَلَى الْكُوخِ. وَكَانَ عَلَى الْوَلَدِ الْوَاقِفِ بِجَانِبِ الْبَقْرَةِ
أَنْ يُدَافِعَ عَنِ الْكُوخِ، وَيَتَمَنَعَ الْآخَرِينَ مِنَ الْإِقْتِرَابِ
مِنْهُ. وَبَيْنَمَا هُمْ يَلْعَبُونَ كَذَلِكَ، تَحَرَّكَتِ الْبَقْرَةُ،
فَصَاحَ أَنْوَرُ: «إِنَّ هَذَا كُوخٌ مُضْحِكٌ ۖ إِنَّهُ يَتَحَرَّكُ،
وَيَبْتَعِدُ عَنَّا ۖ»

بعض، وبعد ذلك تغطّياً بالحشيش، ثم تغطّي كل هذا بالطّين. ثم عاد الأطفال يقولون: «ما أغرب أفكارك!! والدنا يبنى بيتاً!!»
أنور: «ألا يعمل شيئاً مطلقاً إذن؟» فأجابه الأطفال: «إنه يمتنّ بالماشية، ويقف هنا وهناك، ويتكلم أو يتوكأ على حربه، ويتكلم! ويصيد أيضاً، وهو صيادٌ ماهرٌ، ويستطيع أن يواجه أسداً في اتّحلاه وليس في يده إلاّ حربته!»

وعند ذلك مرّ بالأطفال رجلٌ طويل القامة، قوى الجسم، فصاحوا: «بابا! بابا! هنا ولد أبيض يريد أن يراك! أراه حربتك!!»
وكان شعر الرجل خشناً، وعليه دهنٌ وطينٌ أحمر. وكلّ ما عليه من الملابس لا يزيد على مترٍ من النسيج

القطنيّ الأبيض (البقعة) وحول وسعته حزامٌ مملوّكٌ به سيّكينٌ طويل. وكان يحمل في يده اليسرى درعاً من الجلد يزيد ارتفاعه على متر. أما يده اليمنى فكان يحمل فيها حربته التي



وكان الرجل يحمل في يده اليسرى درعاً من الجلد وفي يده اليمنى حربته

فرّد عليه أحد الأولاد: «نعم وأكواختنا أيضاً تتحرّك مثل هذا الكوخ تماماً؛ لأننا لا نعيش طويلاً في مكان واحد، بل نحن مضطّرون للرحيل عند ما تكون المواشي قد استهلكّت كلّ ما حولنا من الحشائش. وبما أننا نعيش على مواشينا، فكلّما أكلت هذه المواشي الحشيش الموجود في بقعة هـ منّا أكواختنا وزحلنا بها، ثمّ يبنّا أكواختنا أخرى في مكان يوجد به حشيش كثير.»

فقال أنور: «لا شك أن والدكم يتعب كثيراً إذا كان عليه أن يبنّي منزلاً جديداً مرتين أو ثلاث مرّات كل سنة، فضحك الأطفال، وصاحوا: «والدنا؟ إن والدنا لا يبنّي منازل، بل أمنا هي التي تقوم بذلك. على أن بناء المنزل ليس شائعاً، كما تتوهم. فإنّ أمنا

تخفر في الأرض حفرةً مستديرة، ثمّ تبتّ بعض القوائم على حافة الحفرة. ثمّ تربط هذه القوائم بعضها

فَلَوَّحَ بِالْحَرْبَةِ وَالذَّرِيعِ فِي الْمَوَاهِ، وَصَرَخَ صَرَخَةً مُرِيمةً
اضْطَرَبَ مِنْ هَوْلِهَا أَنْوَرُ الْمِسْكِينِ، وَتَرَجَعَ إِلَى الْوَرَاهِ
فَعَمَّرَتْ قَدَمُهُ فِي حَجَرٍ، فَوَفَّعَ، وَاضْطَدَمَ بِإِحْدَى النِّسَاءِ،
وَكَانَتْ رَاجِعَةً إِلَى السُّكُوحِ، تَحْمِلُ بَعْضَ الْأَخْشَابِ.
وَلَمَّا رَأَتْهُ يَهْوِي إِلَى الْأَرْضِ، رَمَتْ الْخَشَبَ، وَسَاعَدَتْهُ
عَلَى الْهَرُوضِ. وَلَمَّا تَأَمَّلَهَا أَنْوَرُ لَحَظَ أَنَّ شَعْرَهَا مَحْلُوقٌ
بِالْيُوسَى. وَلَقَدْ رَأَى أَنْوَرُ «الْإِسْكِيمُو؟» فِي مَلَابِسَ

مِنْ جُلُودِ مِجَلِّ الْبَحْرِ،
وَأَهْلَ لَا بِلَانْدَةَ فِي
مَلَابِسَ مِنْ جِلْدِ
الْوَعَلِ، وَالْعَرَبَ فِي
عِبَائَتِ مِنْ الْقَطَنِ،
وَزُنُوجَ أُسْتِرَالِيَا، وَمِ
يَسِيرُونَ عُرَاهُ لَا يَسْتُرُ
جِسْمَهُمْ شَيْءٌ مَّا .



وكانت المرأة تلبس أسلاك حول ذراعيها وساقها وعنقها

وَلِكِنَّهُ لَمْ يَرِ أَطْرَفَ، وَلَا أُعْجِبَ مِنْ لِبَاسِ هَذِهِ الْمَرْأَةِ،
إِذَا صَحَّ أَنْ يُسَمَّى ذَلِكَ لِبَاسًا !! فَكَانَتْ الْمَرْأَةُ تَلْبَسُ
أَسْلَاكَ حَوْلَ ذِرَاعَيْهَا وَسَاقَيْهَا وَبَدِيقَةً هَائِلَةً مِنَ الْأَسْلَاكِ
حَوْلَ عُنُقِهَا. وَكَانَ يَتَدَلَّى مِنْ بَعْضِ الْأَسْلَاكِ سَلَاسِلُ
مِنْ الْمَعْدِنِ. وَلَمْ تَكُنْ تَلْبَسُ غَيْرَ الْأَسْلَاكِ شَيْئًا
مِوَى قَمِيصٍ صَغِيرٍ مِنَ الْجِلْدِ. وَهِيَ لَا تَخْلَعُ الْأَسْلَاكَ

أَبَدًا، حَتَّى عِنْدَ النَّوْمِ.
وَبَعْدَ قَلِيلٍ رَأَى أَنْوَرُ مِثْلَاتِ مِنَ الْمَوَاتِي تَنْدَفِعُ
نَحْوَ بَابِ الشُّورِ، وَهِيَ تَصْبِيحُ، وَتَهَزُّ ذُبُوبَهَا. فَانْتَشَلَ
الْجَمِيعَ بِهَا. وَعِنْدَئِذٍ انْتَهَرَ أَنْوَرُ هَذِهِ الْفُرْصَةَ وَهَرَبَ
عَائِدًا إِلَى السَّفِينَةِ .

وَلَمَّا وَصَلَ إِلَيْهَا، وَرَأَى الْحَيَوَانَاتِ الْقَلِيلَةَ الْبَاقِيَةَ
فِيهَا، قَالَ لَهَا : « لَنْ يَبْتَسَّرَ سَحْبُ الْفُرْعَةِ هَذِهِ الْمَرَّةَ،
لَأَنِّي فَقَدْتُ طَرَبُوشِي،
وَأَنَا هَارِبٌ مِنْ إِحْدَى
فُرَى السَّائِ، !! نَمُ إِنَّهُ
لَيْسَ عِنْدِي وَرَقٌ، وَلَا
قَلَمٌ رِصَاصٍ . وَلَمَّا كَانَ
طَمَاحًا قَدْ أَوْشَكَ أَنْ
يَنْفَدَ، فَعِنْدِي فِكْرَةٌ
تُخْرِجُنَا مِنْ هَذِهِ

الْوَرْطَةِ : وَهِيَ أَنْ نَذْهَبَ بِالْفِيلِ أَوَّلًا إِلَى وَطَنِهِ، لِأَنَّهُ
أَكْثَرُنَا أَكْلًا. » فَسَرَ الْفِيلُ، وَلَوَّحَ بِخُرْطُومِهِ فِي
الْمَوَاهِ، وَصَاحَ : « هَذَا بَدِيعٌ جَدًّا !! فَاذْهَبُوا إِذْنًا،
وَتَأَمُّوا، وَسَاقُودُ السَّفِينَةِ بِنَفْسِي ! » فَخَيَّاهُمْ أَنْوَرُ،
وَذَهَبَ إِلَى مَحْدَعِهِ، وَلَمْ يَسْتَيْقِظْ إِلَّا عَلَى صَوْتِ الْفِيلِ،
وَهُوَ يَقْرَعُ الْبَابَ، وَيَقُولُ : « لَقَدْ وَصَلْنَا !! »